والاحترام ، وغادروا القاعة الكبرى وساروا حيث يأخذون مكانهم المقرر لهم فى الموكب الفخم ، ولما تقلد الأمير طوسون اللواء ، بدأ الركب سيره منحدرا إلى القلعة .

تحرك الركب يتقدمه طليعة من الفرسان الدلاة ، يقودها ضابط يدعى أوزون على ، يتبعها والى الشرطة والأغا « محافظ المدينة » والمحتسب ويليهم الوجاقلية ، ثم كوكبة من الجنود الأرناؤود يقودهم صالح قوش ، ثم المماليك يقودهم سليمان بك البواب ، ومن بعدهم بقية الجنود الأرناؤود فرسانا ومشاة ، وعلى أثرهم كبار المدعوين من أرباب المناصب .

سار الموكب على هذا النظام ، منحدرا إلى باب الغرب بالقلعة ، منسربا فى ذلك الطريق الضيق الوعر ، فاجتازت الباب طليعة الموكب ، ثم رئيس الشرطة ثم المحافظ ومن معه ، ثم الوجاقلية ، ولم يكد هؤلاء يجتازون باب الغرب حتى ارتج الباب وأقفل من الخارج فجأة ، إقفالا محكما فى وجه المماليك ، ومن ورائهم الجنود الأناؤود ، وكانوا عالمين بما تدل عليه هذه الإشارة ، فتحولوا عن الطريق فى صمت وسكون ، وتسلقوا الصخور التى تكتنفه ، وتعلوه يمينا وشمالا ، وأخذوا مكانهم على الصخور ، والأسوار والحيطان المشرفة عليه ، ولم يتنبه المماليك بادئ الأمر إلى أن الباب قد أقفل ، واستمروا يتقدمون متجهين إليه ، ولكن لم تكد تبلغه صفوفهم الأولى حتى رأوه مغلقا فى وجوههم ، ومقفلا إقفالا تاما ، وأبصروا الأرناؤود يتسلقون الصخور المشرفة عليهم ، فتوقفوا قليلا عن المسير ، وتضامت صفوفهم المتلاحقة بعضها إثر بعض ، ولم